بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين[1]

السلام على الحسين الشهيد عَبرة المؤمنين، السلام عليه وعلى أهل بيته وأصحابه، فياليتنا كنا معهم فنفوز فوزا عظيما

تحقق بشهادة الإمام الحسين (ع) أمر مهم وبها تجسّد وتبلور، هذا الأمر هو دائما حيّ ولكن أكثر الناس غافلون عنه، في القرآن الكريم: (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)[2]، ولكن حينما تقرأ هذه الآية هل تجدها حيّة؟ يعني فعلا أنت في حياتك العملية تجد أن الله يمحو ما يشاء ويثبت؟ أم أن هنالك أشياء ثابتة وهنالك أشياء متغيرة وهي لا تحتاج إلى الله عزّ وجلّ؟

في عهد الإمام القائم (ع) سيرته وطريقته المقدسة سوف تجعل القرآن صادقا يعني الإنسان يجد حقيقة آيات القرآن الكريم[3] بشكل واقعي، صحيح أن الله تعالى يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب لكن الأساس في تحقق هذا الأمر يقع على عاتقك أنت، فإذا لم تكن بحيث تطلب الدين طلبا جادا وكنت مستسلما للظروف ففي هذه الصورة لا شيء ينفعك

ينقل عن معاوية أنه كتب في وصيته لابنه يزيد: (إني قد كفيتك الرحلة والترحال، ووطأت لك الأشياء، وذللت لك الأعداء، وأخضعت لك أعناق العرب، وجمعت لك من جمع واحد، وإني لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتب لك إلا أربعة نفر من قريش...) [4]، فالناس الذين كانوا يعيشون في تلك المرحلة – إلا ما ندر – كانوا يجدون أنه فعلا لا أمل في أن يتغيّر الوضع القائم، لذلك نجد أن الذين قاموا مع الإمام الحسين (ع) ونصروه هم قلة قليلة من الناس، على الرغم من وجود شخصيات كبيرة كانوا معارضين لمعاوية ويزيد، مثلا عبد الله بن مطيع العدوي حينما طَرَح عليه الإمام الحسين (ع) أن ينصره فكان جوابه: (أذكّرك الله يا بن رسول اللَّه وحرمة الإسلام أن تنتهك! أنشدك الله في حرمه رسول الله (ص)! أنشدك الله في حرمه العرب! فو الله لَئِنْ طلبت ما في أيدي بني

---

(١) تحدث السيد محمد علي الباقري حفظه الله بهذا الحديث في يوم الجمعة بتاريخ ٦ محرم ١٤٢٥، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء، وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(٢) (الرعد: ٣٩)

(٣) أشار السيد حفظه الله إلى هذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت ٣**) فصل (**لن يتحقق القرآن إلا بشهادة**)

(٤) تاريخ الطبري (٣٢٢/٥)

أُميَّة ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحدا أبدا والله إنها لحرمة الإسلام تنتهك، وحرمة قريش وحرمة العرب، فلا تفعل، ولا تأت الْكُوفَة، وَلا تعرض لبني أُمَيَّة)[٥]، فأي شخص يلتقى بالإمام الحسين (ع) كان ينصحه بأن لا يخرج وأنه سيُقتل وأن القتل يعني انتهاء الأمر، بعضهم كانوا يصرّحون (لو قتلوك لا يبقى شيء)[٦]، فلِم حصل هذا المنطق وهذا التصور؟

نحن نعيش هذا المنطق كذلك، ولكن إذا عرفنا السبب ثم بعد ذلك عرفنا ما حدث بعد شهادة الحسين (ع)، هنا شهادته (ع) – بنتائجها – تصبح حيّة بالنسبة لنا فتحيي نفوسنا وتحررها، أما الشخص الذي لم يعرف هذا فلا ينتفع بالواقع من شهادة الإمام الحسين (ع)

مثلا شاب توفّرت له إمكانيات مختلفة وهو يشعر براحة ويستمتع بحياته، قد لا يكون متدينا وقد يكون متدينا ويكتفي بأن يصلي ويصوم فقط لكن وجهته وجهة الاستمتاع بالحياة، هذا الشخص لو قيل له أن شبابك زائل وأنك ميّت وأن هذا الوضع سوف يتغير، فهل تتوقع أن هذا يُوقِفه؟ قد يؤثر فيه تأثيرا مؤقتا وقد يتأذى إذا ذكّره أحد بالموت، فهو يتعامل مع هذه الإمكانيات التي يمتلكها على أنها دائمة وثابتة، ومن الممكن أنه يقتنع نظريا ويقول صحيح أننا سوف نموت والشباب سوف ينقضي، لكن هو بالواقع يتعامل مع تلك الأمور التي يعيشها كمسألة ثابتة ومستمرة، لكن إذا قيل له أنك مصاب بالسرطان وسوف تموت، حينئذ سيتغير وضعه وكل شيء يسقط من عينه، فهل التعامل الأول هو الذي ينبغي أن تتعامل به في الحياة أم التعامل الثاني؟

ذكر القرآن الكريم قصة قارون: (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى)[٧]، يُنقل أنه كان مثقفا وكان أكثر اليهود قراءة للتوراة، (...فَبَغَى عَلَيْهِمْ) البغي يعني الطلب، و(عليهم) يعني ضدهم، يعني يريد أن الناس يكونون تحت وهو يكون فوقهم لأن لديه إمكانيات معينة (وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ)، كان لديه مجموعة من الأشخاص الأقوياء وهؤلاء يحملون أبواب خزائنه، في ذلك الحين الأموال كانت عبارة عن الذهب وليست أوراقا، لذلك لم يكن يصغي لأنه يعتبر أن هذا الوضع لا يتغير (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ . وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا)، ربّما معنى (وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا) أي لا تنس أنك تعيش في هذه الدنيا لمدة محدودة وهذه الحياة منتهية فعِش عاقبة الحياة وهي الآخرة

---

[٥] تاريخ الطبري (٥/٣٩٥)

[٦] نفس المصدر

[٧] (القصص: ٧٦)

هنالك منهجان، منهج الأنبياء المتمثل في القرآن الكريم وفي سنة رسول الله (ص) والذي قرّب العاقبة (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا . وَنَرَاهُ قَرِيبًا)[٨]، لذلك كانت أمة رسول الله (ص) تعيش زوال الدنيا، هذه الحالة من الممكن أن تعيشها أنت كذلك جرّب، حينها سوف تسقط عندك قيمة الدنيا بكل زخارفها

والمنهج الآخر هو منهج إمامة العالم الآن وهو تزيين الأرض وإطغاء الأشياء الدنيوية بحيث تجعلك لا تفكر في الآخرة، الآن في العالم توجد إمامة هي إمامة اتباع الشهوات والتي تطغي لك الأشياء، شيء واقعه له حجم معيّن لكن العالم يزيّنه لك ويطغيه فيطرحه لك مزيّنا لتغفل عن حقيقة الأشياء بالواقع، كلنا معرّضون لذلك، مثلا تمرض فالمرض يذكرك بالموت ويذكرك بالآخرة، ويجعلك لا تنجر وراء هذه الدنيا وأشياؤها المضخّمة التي أطغتها لك الإمامة الضالة، لكن إمامة العالم تسعى أن تهيّئ لك كل شيء لتلهيك عن تلك الحقيقة، حتى أن الشخص حينما يموت تجعله يموت وهو غافل عن الموت ولا يتذكر الآخرة

(وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ)[٩]، أنت بسلوكك بروابطك بعلاقاتك إما تتعامل مع غيرك كمسؤول عنه وتحاول أن تقويه وتساعده على أن يقوم بالقسط ويجد شخصيته بأن تربطه برسول الله وتجعله يتمنى الكون معه (ص)، وتذكّره بأن له إمام وتسعى أن تربطه بأئمته (ع) بحيث تتفجّر طاقاته ويصبح إنسانا يتعقّل أمر الأئمة ويسعى لمعرفة سبيلهم (ع)، وإما أن تلهيه عن ذلك – والعياذ بالله – وهذا إفساد في الأرض

شخص يلهي الآخرين حتى في مناسبة شهادة الحسين (ع) يأتي ويوحي لغيره التخاذل ويزيّن لهم الدنيا ويبعدهم عن دعوة الإمام الحسين (ع)، بينما الإنسان بإمكانه أن يعرف دعوة وأمر الإمام الحسين (ع) فيصبح ناصرا له (ع) يعني يسعى في نفس المسار الذي سار فيه أصحاب الحسين (ع) لأن تكون كلمة الله هي العليا بدل أن يهتم بالحياة الدنيا ويتعامل مع الدين بلا مبالاة

قارون عنده مال وعنده ثقافة وعنده جماعة تسنده وتتمنى أن تكون مثله، فصاحب المال أو الجاه الناس يحبون التقرب منه، وإذا كان صاحب المال مثقفا يستطيع أن يبرر (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي)، ويسحر أعين الآخرين (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا . يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)، وأكثر الناس هكذا لا فقط أنهم يشتهون المال بل ويبررون له ويعتبرونه مقاما عظيما!

---

[٨] (المعارج: ٦-٧)

[٩] (القصص: ٧٧)

هذه مقاييس الإمامة الضالة التي تقود العالم (فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ) أعطاه جاها وشرفا (فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ) أنا أستحق هذه النعمة، (وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ)[١٠] يعني أنا مهان، هذا هو المنهج الضال الذي ساد بعد وفاة رسول الله (ص) والذي خرج من أجل تغييره الإمام الحسين (ع)

فالإمام (ع) خرج ليعيد الدين إلى مسار ومنهج الأنبياء، (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُون . فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ . وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا)، الآن في قصة قارون حصل هنالك شيء خارق – حسب ظاهر القرآن الكريم – فخسف الله به حتى يحرر الناس، هنا أخذ قارون حجمه الطبيعي بنظر الناس بعد أن سقطت كل هذه الزينة، ما الذي تغير بالنسبة إلى هؤلاء؟ لو كان هؤلاء يفكرون بأن هذا المال زائل وهذا الشخص ميت، فهل كان هذا يطغى في نظرهم؟

الناس كانوا مستسلمين لهذا الوضع الذي تأسس بعد وفاة رسول الله (ص)[١١]، فمثلا في ظل وجود معاوية الذي كان ذكيا وله سلطان وأموال طائلة وإمكانيات ثقافية وحوله مجموعة كبيرة من المحدّثين يتحدثون عن رسول الله (ص) ويحفظون القرآن وحسب الظاهر متدينون لكن مع ذلك يسايرونه بالوضع الذي يريده، وهذا يعني أن هذا الوضع صحيح من الناحية الدينية، فكانوا يغيرون وجهة ومسار الدين ويزينون الدنيا لأن تطغى في النفوس ويوحون بشكل وآخر أن هذا الوضع ثابت لا يتغير، فالناس في ذلك الحين استسلموا وخضعوا لهذا الوضع ولذلك كانوا يمنعون الإمام الحسين (ع) من الخروج، هذا الخضوع كيف حصل؟ لأن هذا المسار هو الذي تحكّم في النفوس باعتباره هو المسار الديني المطلوب، فبشكل طبيعي تموت الآية (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ)، والآن كذلك هي ليست حية في النفوس

فكل الشواهد المتزامنة مع ذلك الوضع كانت تدل أن خروج الإمام (ع) كان انتحارا! الحُر يقول (إني أذكرك الله في نفسك فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن فلئن قوتلت لتهلكن فيما أرى)[١٢]، كان الناس يتصورون أن هذا الوضع

---

[١٠] (الليل: ١٥-١٧)

[١١] أشار السيد حفظه الله إلى هذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت ٤**) فصل (**ثلاثة اتجاهات**)

[١٢] الكامل في التاريخ (٤٠٩/٣)

ثابت ومترسّخ جدا بحيث لا شيء يمكن أن يغيره، تخطيط عظيم وأموال طائلة وإمكانيات هائلة وسلطان وكذلك الدين يُستغل ليسند هذا الوضع ليكون هو الوضع الديني الصحيح

ولكن بشهادة الإمام الحسين (ع) انهار هذا الوضع بصورة طبيعية، كيف انهار وماذا حصل؟ الله عزّ وجلّ لم يتدخل تدخلا خارقا بل أن ما حدث في مسيرة الإمام الحسين (ع) هو وفق المقاييس الطبيعية[١٣] (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا)[١٤]، فالطاغوت انكسر بشكل طبيعي في نفوس الناس وتغيرت نظرتهم، الآن بدأوا يرون الأمر بحجمه الحقيقي، ويرون حقيقة (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ)، وأن الله تبارك وتعالى (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)[١٥]، (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ)[١٦]، وتحقق البداء بعد أن انتصر الإمام الحسين (ع) بشهادته وشهادة أهل بيته وأصحابه[١٧]

البداء[١٨] ليس عبارة عن قضية نظرية، فالإنسان أساسا ليس مؤهلا ولا متمكنا لأن يبحث عن فعل الله عزّ وجل، ويتداول البداء كيف يحصل؟ والله كيف يتغير رأيه؟ ابحث في هذا وتوغّل كما تشاء فلن تصل إلى أي حلّ لأن الإنسان بطبيعته ليس مؤهلا لهذا، فالبداء منهج إيماني وعملي، الإنسان يعبد الله بالبداء، الله تعالى يغيّر ويبدّل، لا شيء ثابت في هذه الدنيا، وهي حقيقة تجسّدت بأجلى مظاهرها في شهادة الإمام الحسين (ع)، لو استطعت أن تعيش هذه الحقيقة هنالك كل الطغيان الموجود حولك ينهار، تتحرر فتنظر إلى الأشياء بأحجامها الواقعية كما هي بلا زينة ولا طغيان، ولن تستطيع أن تفعل ذلك إلا بولاية[١٩]، لن تستطيع أن تكون كذلك إلا أن يتولى أمرك مَنْ يعرف إمامة الأئمة (ع) ويستند إليها

أكتفي بهذا المقدار وأرجو أن يجعل الله في هذا الحديث المختصر خيرا مع تعقّلك أنت، وأنت إن شاء الله لا تتكل على هذا الكلام، الكلام وحده لا يصنع شيئا، يحتاج إلى تفكّر وتعقّل واستمرارية، أرجو أن يجعل الله في هذا الحديث خيرا لي ولك لأني رجوت أن أنفعك، والحمد لله ربّ العالمين

---

(١٣) وضّح السيد حفظه الله هذه المسألة في كتاب (**التعاطف مع الإمام الحسين (ع)**)

(١٤) (إبراهيم: ٢٤-٢٥)

(١٥) (الرحمن: ٢٩)

(١٦) (الأنعام: ١٨)

(١٧) أشار السيد حفظه الله لانتصار أمير المؤمنين (ع) في كتاب (**هكذا آمنت ٤**) فصل (**انتصر (ع) بانتصار أعدائه**)

(١٨) أشار السيد حفظه الله إلى هذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت ٤**) فصل (**البداء**)

(١٩) وضّح السيد حفظه الله هذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت ١**) فصل (**لابد من إمام**)